

مجمع الأمثال

31 - إنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَبِيَّةٌ صَبِيَّةٌ ... أَفْلَاحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيٌّ .

يضرب في التندم على ما فات .

يقال : أَصَافَ الرَّجُلُ إِذَا وُلِدَ لَهُ عَلَى كِبَرِ سَنِهِ وَوَلِدُهُ صَبِيْفِيُونَ وَأَرَبَعَ الرَّجُلُ إِذَا وُلِدَ لَهُ فِي فَتَاءِ سَنِهِ وَوَلِدُهُ رِبْعِيٌّ وَأَصْلُهَا مُسْتَعَارٌ مِنْ نَبْتِاجِ الْإِبْلِ وَذَلِكَ أَنَّ رِبْعِيَّةَ النَّبْتِاجِ أَوْلَاهُ وَصَبِيْفِيَّةَ أَخْرَاهُ فَاسْتَعِيرَ لِأَوْلَادِ الرَّجُلِ .

يقال : أول من قال ذلك سعد بن مالك بن صبيعة وذلك أنه ولد له على كبر السن فنظر إلى أولاد أخوَيْه عمرو وعوف وهم رجال فقال البيتين وقيل : بل قاله معاوية ابن قشير ويتقدمهما قوله : [ص 15] .

لَبِيْثٌ قَلِيْلًا يَلْحَقِ الدَّارِيَّوْنَ ... أَهْلُ الْجَبَابِ الْبُدْنَ
الْمَكْفِيَّوْنَ .

سَوْفَ تَرَى إِنْ لَحِقُوا مَا يُبْلَوْنَ ... إِنْ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَبِيَّةٌ صَبِيَّةٌ .
وكان قد غزا اليمن بولده فقتلوا ونجا وانصرف ولم يبق من أولاده إلا الأصغر فبعث أخوه سلامة الخير أولاده إليه فقال لهم : اجلسوا إلى عمكم وحد ثوه ليسلو فنظر معاوية إليهم وهم كبار وأولاده صغار فساءه ذلك وكان عيونا فردَّهم إلى أبيهم مخافة عينه عليهم وقال هذه الأبيات .

وحكى أبو عبيد أنه تمثل به سليمان بن عبد الملك عند موته وكان أراد أن يجعل الخلافة في ولده فلم يكن له يومئذ منهم من يصلح لذلك إلا من كان من أولاد الإماء وكانوا لا يعقدون إلا لأبناء المهائر . قال الجاحظ : كان بنو أمية يرون أن ذهاب ملكهم يكون على يد ابن أم ولد ولذلك قال شاعرهم :

ألم تَرَ لِلْخِلاَفَةِ كَيْفَ ضَاعَتْ ... بَأْنَ جُعِلَتْ لِأَبْنَاءِ الْإِمَاءِ